



<http://virtuelcampus.univ-msila.dz/leltp/?=212>

ص 84-67

المجلد: 01 العدد: 02 (2021)

السياق والاستراتيجيات الخطابية

Context and Discourse Strategies

د. هدية جيلي

ج. بومرداس (الجزائر)

h.djili@univ-boumerdes.dz

د. رضا زلاقي

ج. بومرداس (الجزائر)

r.zellagui@univ-boumerdes.dz

المخلص:	معلومات المقال
تعالج هذه المداخلة موضوع السياق والاستراتيجيات الخطابية. ومن المعلوم أن الخطاب التواصل لا يأخذ شكله النهائي إلا في ضوء معطيات السياق وما يفرضه على مرسل الخطاب، فإنه قد بات من الضرورة بمكان أن نشخص طبيعة العلاقة بين السياق والاستراتيجية التي يتبناها مرسل الخطاب في سياق بذاته لغرض إبلاغ رسالته على النحو الذي يريد. ولهذا فقد كان الهدف من دراستنا محاولة التعرف على الاستراتيجيات الخطابية وأنواعها ووسائلها وكيفية تأثير معطيات السياق الثابتة أو المتغيرة افتراضا في طبيعة الاستراتيجية التي يختارها مرسل الخطاب	تاريخ الإرسال: 2021/05/19
	تاريخ القبول: 2021/06/05
	الكلمات المفتاحية: ✓ السياق ✓ الاستراتيجية ✓ الخطاب ✓ النصية
Abstract:	Article info
<i>This paper deals with the topic of context and rhetorical strategies. It is known that the communicative discourse does not take its final form except in the light of the context data and what it imposes on the sender of the</i>	Received: 19/05/2021 Accepted: 05/06/2021

discourse. It has become necessary to diagnose the nature of the relationship between the context and the strategy adopted by the sender of the discourse in a specific context for the purpose of conveying his message as he wants. Therefore, the aim of our study was to try to identify the discursive strategies, their types and means, and how the hypothetically fixed or changing context data affect the nature of the strategy chosen by the sender of the discourse.

Keywords:

- ✓ Context
- ✓ Strategie
- ✓ Discours
- ✓ Text

1. مفهوم السّيق:

أ- لغة: نتطرق بداية إلى عنصر السّيق وأنوعه وعناصره وعلاقاته بالخطاب باعتباره جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل، من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سّيق من السّياقات المختلفة.

ولن نقف كثيرا عند أصل كلمة "سّيق" في اللغة العربية وتطوراتها المختلفة، ولكن تجدر الإشارة إلى أن بعض المعاجم العربية الحديثة في اللغة العربية الفصحى المعاصرة تفسر السّيق في الكلام بأنه: «تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»¹ ولئن كان في أصل المعنى اللغوي ما يؤيد تفسيره بالتتابع باعتبار أن السّيق من التتابع والسير كما قال الزمخشري: «تساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سّيق ... وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده»² فإن مفهوم السّيق عند الكثير من الدارسين أوسع من ذلك. ولأنّ جل الدراسات اللغوية العربية القديمة نشأت لدراسة الخطاب القرآني وفهمه فإن السّيق بدوره يرتبط ارتباطا وثيقا بالدرس القرآني بغية تحديد الدلالات اللفظية القرآنية وفهمها ورصدها من خلال السّيق.

وقد كان علماء اللغة العرب القدماء مدركين لأهمية السّيق في تحديد المعنى وواعين بدوره الحاسم في توجيه دلالات العلامات اللغوية ولاسيما في الخطاب القرآني، فقد صرح ابن القيم الجوزية (ت751هـ) بأن السّيق هو الذي «يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقيد المطلق، وتنوع الدلالة ... وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته»³.

ومن خلال ما تقدم يتضح جليا أن علماء اللغة العرب قد تحدثوا عن السّيق حتى وإن اختلفت المصطلحات التي قد تتسع أو تضيق، إلا أن هذه الملامح وهذه الصلات

موجودة في الدرس اللغوي البلاغي العربي القديم وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد فكرة المقام أو مقتضى الحال الذي شاع قديما عندما استعملوه في الدراسات البلاغية، إلا أن بعضا من علمائنا المحدثين أمثال تمام حسان⁴ متحفظون حول مدى مطابقة مفهوم "المقام" القديم لمفهوم "السياق" الحديث، ولسنا هنا في مقام التأريخ لفكرة السياق في التراث العربي لأننا لن نفيه حقه حتى وإن بسطنا له بحثا متفردا.

ب- اصطلاحا: السياق في اصطلاح بعض الباحثين «بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. و دائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها»⁵. وهكذا فإن التعريف يسمح لنا بالقول أن السياق هو ما يحدد جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض حين تقييم نسيج النص المتكامل. والسياق في الدراسات اللغوية الحديثة يعني «كل ما يتعلق بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه»⁶.

ويعرفه المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بأنه: «محيط الوحدات اللغوية المتتالية، السابقة واللاحقة، وينتج عنها قيود تخضع لها تلك الوحدات ... وأنه تلك الظروف الاجتماعية التي يُعتمد عليها لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي»⁷. كما نجد أيضا تعريفا للسياق والذي ورد في معجم اللسانيات وعلوم اللغة وهو: «مجموعة النصوص الذي تتواجد ضمنه وحدة معينة، أي العناصر التي تسبق وتلي هذه الوحدة ومحيطها»⁸.

ومما سبق من تعريفات للسياق، نلاحظ أن أكثرها يهتم بما يعرف بالسياق اللغوي وحال الوحدات اللغوية المختلفة في المقامات الخطابية المتنوعة، وعلاقاتها المباشرة وغير

المباشرة بوحدة لغوية أخرى، فيما اهتمت بعض التعريفات الأخرى بالسياق غير اللغوي وركزت على أهميته في دراسة التواصل وتحليله.

2. أنواع السياق: إن إعادة بناء السياق هي محاولة للوصول إلى فهم النص، فكل مقارنة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية تنتهي بالضرورة إلى ذلك المجال من الدراسة اللغوية الذي يسمى بالتداولية-علم المقاصد (pragmatics) وهو ما يعرف بأنه دراسة العلاقة بين الرموز ومؤولها فمحلل الخطاب يعالج مادته اللغوية بوصفها نصا لعملية اتصالية استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل متكلم وكاتب، للتعبير عن معاني وتحقيق مقاصد الخطاب.⁹

وللوصول إلى معاني الكلمات يُتطلب من أصحاب نظرية السياق تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي، ولذلك نجد بعضهم يقترح تقسيما للسياق انطلاقا مما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية كمجاورة الكلمة لأخواتها والقرائن المحيطة بها، بالإضافة إلى ذلك الظروف الاجتماعية المحيطة بالموقف، زد على ذلك السمات الثقافية والنفسية وغيرها.

وعلى هذا الأساس يمكن أن يقسم السياق إلى أربعة أقسام* هي: السياق اللغوي و سياق الموقف وال سياق الثقافي وال سياق العاطفي. كما يجدر بنا الإشارة إلى تعدد المصطلحات التي تطلق على السياق الواحد واختلافها، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا عند الوقوف على كل نوع من أنواع السياقات المختلفة.

1.2. السياق اللغوي*: «وهو المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب، وهذا السياق يتضمن الصوت في تعلقه بالنظم اللفظي في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة، ومن الظواهر الصوتية التي تخضع للسياق اللغوي النبر والتنغيم والوقف»¹⁰.

وغير بعيد عن ذلك، نجد تمام حسان يتحدث عن السياق اللغوي بمصطلح السياق المقالي أو الداخلي ويعتبره ذلك السياق اللغوي أو اللفظي الذي يفهم داخل النص، ويتكون من المعنى الوظيفي أي النحوي، والمعنى المعجمي، ويشمل القرائن المقالية كلما وجدت، وهذه القرائن المقالية منها ما هو معنوي وما هو لفظي¹¹. بمعنى أن السياق اللغوي هو نتيجة ما يتوصل إليه من خلال تحليلنا للكلام داخل النص، وذلك بالنظر إلى ما جاء قبله وما جاء بعده، لأن هذا الأخير حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاوزة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا .. وهو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) من تسلسل العناصر وترتيبها، وما يحتويه من قرائن مساعدة على كشف دلالة الكلمة من أجل الوصول إلى معنى مفيد ومحدد في الكلام.

كما يشمل هذا السياق بعض الظواهر النحوية المتعلقة بالجمال من ناحية العلاقات السياقية والسنتاجماتية (Syntagmatic relations)، ويمكن أن تشمل الدراسات السياقية في مستوى النحو وما يليه «دراسة القواعد المنظمة لترتيب الكلمات في الجملة من حيث التقديم والتأخير والزيادة والحذف ودراسة ما يسمى بالموافقة والمخالفة بين الكلمات في الجمل، كدراسة العلاقات بين المبتدأ والخبر وبين الصفة والموصوف مثلا، كما يشمل دراسة بعض الظواهر الإعرابية في اللغة العربية من الإعراب والبناء»¹².

ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك أو التعميم أو التخصيص أو الاشتمال أو الاندراج ونحو ذلك فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام ويتصف بالاحتمال، على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق ولا سيما السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم¹³.

أمثلة على السياق اللغوي: عندما ترد كلمة (عين) في العربية -وهي من المشترك اللفظي- في سياقات لغوية متعددة يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كلِّ

سياق ترد فيه. إنَّ كلّ سياقٍ آتٍ ترد فيه كلمة (عين) يقدِّم معنىً واحداً تتجه إليه الأفهام وتترك ما سواه، فلا يقع أيّ اشتراك في السياق، فقولنا:

- عين الطفل تؤلمه: العين هنا هي الباصرة.

- في الجبل عين جارية: العين هي عين الماء.

- العين الساحرة وسيلة لمعرفة الطارق: العين تدلُّ على منظر حديث يركب في

الباب.

- هذا عين للعدو: العين هنا الجاسوس.

ذاك الرجل عين من الأعيان: العين هنا السيّد في قومه.

- وكذلك نجد أن كلمة (good) الإنجليزية تقع في سياقات لغوية متنوعة. فإذا

وردت وصفاً لـ:

أ- أشخاص: رجل - امرأة - ولد.. (دلّت على الناحية الخلقية).

ب- طبيب - معلم - مهني.. (دلّت على التفوق في العمل والأداء الممتاز).

ج- مقادير ومحسوسات: ملح - دقيق - هواء - ماء.. (دلّت على الصفاء والنقاء والخلو

من الغش)¹⁴.

ومن المؤكد أن ما ذكر لا ينطبق على أمثلة محددة وكلمات نادرة، إنما ينطبق على

غالبية المفردات حين ترد في السياق، ويرجع هذا إلى أن طبيعة المعنى في المعجم تختلف

عن طبيعته في السياق.

2.2. سياق الموقف¹⁵: وهو «جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو الحال

الكلامية»¹⁶. واستعمل مالينوفسكي (Malinofesky) هذا المصطلح (سياق الحال -

الماجريات)، أما "فيرث" (Firth) فنجد أنه قد استعمل مصطلح "سياق الحال" للدلالة نوع

من التجديد من البيئة أو الوسط الذي تقع فيه الكلمات ونشأتها وتطورها والآثار اللغوية

المرتبة على ذلك¹⁷.

ومن العناصر المكونة للحال الكلامية نذكر:

- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام من غير المتكلم والسامع إن وجدوا.

- العوامل والظواهر الاجتماعية كحالة الجو والوضع السياسي ومكان الكلام.

- أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك ...

- الوظائف الكلامية: إن نظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص بسياق الحال

تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية، والمعنى عند فيرث قائم على "كل مركب من مجموعة الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية والوظيفة الدلالية. ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها¹⁸.

وقد طور هاليداي مفهوم سياق الحال من بعد فيرث وأقام تطويره على أساس مفهوم التنبؤ الذي يقدمه سياق الحال لإنجاح عملية الاتصال، وقدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعة سياق النص، وهي التي تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون وهذه الجوانب هي:

- المجال (Field): والمقصود به موضوع النص.

- نوع المشاركة (Tenor): والمراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين في النص (علاقة رسمية حميمية، محايدة ...).

- الصيغة (Mode): وهي الوسيلة أو قناة الاتصال التي يتحقق من خلالها النص

كالحوار أو المقال في جريدة أو الخطة بالإضافة إلى الدور الذي تؤديه الصيغة من إقناع أو تهدئة أو بيع أو تحكم.¹⁹

وبناء على ما تقدم من البحث، يمكن القول أن سياق الموقف قائم على العلاقات المكانية والزمانية التي يجري فيها الكلام، بمعنى كل ما يحيط بالظروف التي تجري حول

عملية التواصل، وقد أشار اللغويون العرب القدماء وخاصة البلاغيون إلى هذا السيق تحت مصطلح المقام، وما عبارة "لكل مقام مقال" المبنوثة في ثنايا كتب التراث البلاغي العربي وعبارة "لكل كلمة مع صاحبها مقام" إلا دليل قاطع على الأسبقية في تقرير هذا المفهوم والذي قد يتسع أو يضيق، وهذا ما جعل تمام حسان يؤكد على أن البلاغيين العرب القدماء وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء وأضاف قائلاً: "لم يكن مالىنوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير (contexte ofsituation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف وما فوقها، إن الذين سبقوه عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام"، ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالىنوفسكي من تلك الدعاية، بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة".²⁰

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لسنا في مقام المقارنة بين الأنا والآخر، ولا في مقام تقديس التراث العربي ورفض كل ما هو غربي حديث، ولا في مقام الوقوف على الصرح العربي العظيم القديم ومحاولة ترميمه ببراعة، وإنما بصدد ذكر بعض الحقائق في محاولة منا ربط جسور التواصل بين الأنا والآخر، وبين الماضي والحاضر، بغية الاستفادة من الجانبين للوصول إلى الأجود.

وفي الأخير يمكن القول بوجود صلات وملامح ومقاربات بين فكرة سياق الموقف عند الغربيين وفكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية القديمة، وهي التي أنتجت المقولة المشهورة "لكل مقام مقال" وإن اختلفت المصطلحات والمنهج.

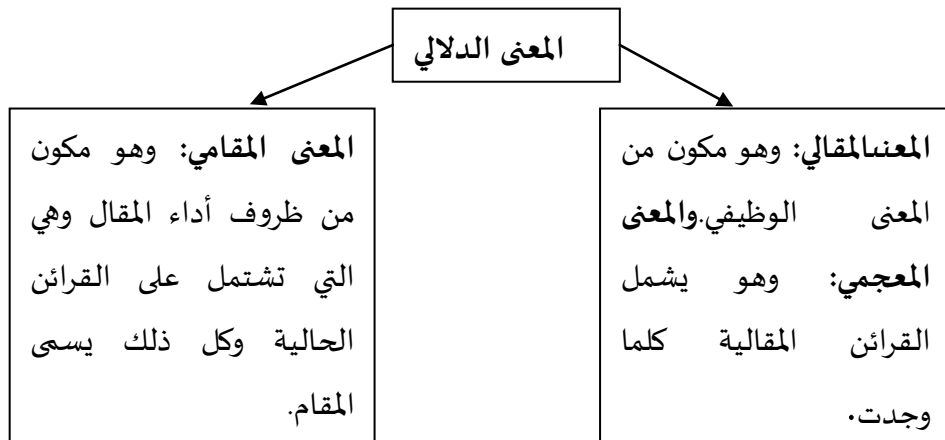
أمثلة عن سياق الموقف: إن أوضح أمثلة نستطيع أن نضربها في هذا الصدد هذين

المثالين:

الأول: ما ورد في قضية التحكيم المشهورة من قول الخوارج: (لا حكم إلا لله)، فكم كان هذا القول براقاً وجذاباً؛ ولكن كان رد الإمام علي كرم الله وجهه حول هذه المقولة والشعار عكس الظاهر فكان قوله: كلمة حقٍ يراد بها باطل²¹، لقد أراد الإمام علي بذلك أن هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكنَّ المقام هو إلزام سياسي.

الثاني: ما ورد على لسان الأحنف بن قيس حين سأل معاوية بن أبي سفيان عن رأيه في أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد ولده مع أنه لم يكن محمود السيرة في الناس، فقال الأحنف قولته الشهيرة: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت²²، فكانت كنياته أبلغ من التصريح وأقدر على أداء المعنى من التوضيح.

وفي الأخير يمكن الخلوص إلى أن السياقين السابقين اللغوي وسياق الموقف هما الركيزتان اللتان يعتمد عليهما المعنى الدلالي، وقد وضع تمام حسان²³ هذه العلاقة في الشكل التالي:



وهناك أنواع أخرى من السياق يمكن اعتبارها تفريعاً لما سبق ذكره:

أ- السّياق الثقافي: ينفرد هذا السّياق بدور مستقل على سّياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية، لكن هذا لا ينفي دخول السّياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً²⁴ ويقتضي السّياق الثقافي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، مثال ذلك: كلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات²⁵.

أمثلة على السّياق الثقافي:

1. يظهر السّياق الثقافي من خلال استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد.
2. يحدّد السّياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماً عاماً.

فاستعمال كلمة (الصّرف) لدى دارسي العربية يعني مباشرة أنّ المقصود هو علم الصرف الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك. على حين أنّ دارسي الهندسة وطلابها يحدّدون دلالة (الصّرف) عندهم بأنها مصطلح آخر هو (الرّي). وهكذا يتحدّث هؤلاء عن (الرّي والصّرف) دون أن يشعروا بأيّ التباس أمام استخدام دارسي العربية الذين يتحدّثون عن (النّحو والصّرف). أمّا إذا استعملت كلمة (الصّرف) في قطاع المال والتجارة، فإنّ لها دلالة أخرى تشير إلى تحويل العملة النقدية من الجمود والكمون- في الحساب المصرفي مثلاً- إلى التداول الفعلي، أو تحويل العملة من فئة إلى فئة، أو من نقد إلى آخر.

3. ارتباط الكلمة بثقافة معينة لتكون علامة لانتماء عرقي أو ديني أو سياسي:
- استخدام كلمة (فتح) للدلالة على حرب وكسب الأرض، لا يساوق بحال من الأحوال استخدام كلمة (احتلال) أو (غزو مسلح)، لأنّ كلمة (فتح) لها دلالة ثقافية تاريخية إيجابية. كما أنّ استخدام كلمة (المجاهد) لا يتطابق دائماً مع كلمة (المناضل) أو (المقاتل)

أو(الفدائي) أو (الإرهابي) أو (الانتحاري)، لأنَّ لكلِّ كلمة من هذه الكلمات ظلال ثقافية ذات ارتباط بالتاريخ أو الدين أو السياسة²⁶.

ب- السياق العاطفي: والسياق العاطفي هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة ويبين دلالتها الموضوعية -التي تفيد العموم-، ودلالاتها العاطفية²⁷ -التي تفيد الخصوص-، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغاً أو اعتدالاً²⁸، فكلمة "يحب" في العربية غير كلمة "يعشق" رغم اشتراكهما في أصل المعنى.²⁹

كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية؛ كأن تُنطق وكأنها تمثِّل معناها تمثيلاً حقيقياً. ولا يخفى على أحد ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية³⁰، ويتضح التعريف جيداً من خلال هذه الأمثلة الآتية:

أمثلة على السياق العاطفي:

1. من ناحية طبيعة استعمال الكلمة في دلالتها الموضوعية العامة ودلالاتها العاطفية الخاصة: كلمتا "جهاد" و"نضال"، كلمتان مترادفتان إلّا أنهما تختلفان عند حدود استعمالهما لأن كلَّ مستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكرياً وعاطفياً؛ فكلّ جمهور نزعة عاطفية تجاه كلمة من الكلمات، مع أنها تشترك أو ترادف كلمة أخرى في عموم الموضوع إلا أن لكلِّ كلمة خصوصيتها وجمهورها الذي يحتوي على اتجاه فكري وهكذا نرى أن في استخدام لفظي "استغلال" و"استثمار" تبايناً، فالأولى تحمل قيماً أسلوبية سلبية في حين الثانية إيجابية. بالرغم من أنهما مترادفتان، فالأولى تشير إلى أخذ غلة والثانية إلى أخذ ثمرة.
2. من ناحية درجة القوة والضعف في الانفعال: السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة الانفعال قوةً وضعفاً، فالكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ترد حين يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال. فالمتكلم، في هكذا حالة من الشعور الجامح، يغالي في استخدام كلمات ذات شحنة عاطفية كبيرة، ومعانٍ مغالية لا يقصد معناها

الحقيقي. فالذين يتعاركون(يتذابحون) أو (يقتلون) بعضهم بعضاً. فمستخدم هذه الكلمات لا يقصد معانيها الحقيقية، وتكون محملة بما يعتمل في داخله من غضب وانفعال أو انشراح وسرور³¹

3. من ناحية طريقة الأداء الصوتي:طريقة الأداء الصوتي لها دور فعال في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، كأن تُنطَق الكلمة وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقياً. ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية³². ومثال ذلك أن ينطق المتكلم مثلاً كلمة "تحفة" بتنوير صامت الحاء وإطالته أكثر مما يستحق ورفع درجة الصوت عنده، ليدل على شدة جمال وروعة ما يصفه، أو كلمة "مدهش" بالتركيز على صامت الدال والمبالغة في إطالته ليوحي المتكلم بشدة الدهشة مما أدهشه.

3. مفهوم استراتيجية الخطاب:

1.3. الاستراتيجية مصطلحاً: قبل الحديث عن مصطلح الاستراتيجية بشكل خاص متعلق أو مقترن بمصطلح الخطاب، وجب علينا الحديث عن المصطلح ودلالته العامة، لكون هذا الأخير يحمل قدراً من اللبس، بسبب اقترانه بالعديد من المجالات المعرفية والحضارية، إضافة إلى شيوع استعماله بلفظه الدخيل، وعليه كان لزاماً علينا أن نشير إلى بعض مفاهيمه التي قد تتسع أو تضيق، وبعض ميادينها. فالاستراتيجية اصطلاح عسكري وهي «علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي لصراع ما ... من أجل تحقيق سياسة ما، وغالباً ما تقتزن الاستراتيجية بالأهداف البعيدة المدى»³³.

كما نجد أيضاً أن الاستراتيجية صارت تطلق على المواقع والأهداف وعلى غير ذلك، ويبدو أن معنى الاستراتيجية حينئذ لا يعني الخطة الرئيسية أو المهمة، وإنما صار يعني الأهمية القصوى للشيء أو الهدف، وهذا هو المفهوم السائد في اللغة العربية الفصحى

المعاصرة. بينما في الغرب الذي وفدت منه هذه الكلمة فيعرفها الفيلسوف ميشال فوكو بما يلي: «تعمل كلمة استراتيجية عادة بثلاثة معان:

أ- للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة.

ب- للتدليل على الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير.

ج- للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما، لحرمان الخصم من

وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام»³⁴.

وما ذكر في التعريف السابق عن جوانب الاستراتيجية يكتسي طابعا عاما سمته الرئيسية اختيار كل ما يناسب من الأدوات المادية وغير المادية للوصول إلى هدف معين و تحقيق غاية ما وبذلك تكون الاستراتيجية حلقة ربط بين العمليات الاتصالية بأبعادها التفاعلية وشروطها الاجتماعية لدى الأفراد المتصلين وأهدافهم المعينة وبين الوسائل المستعملة في ذلك اللغوية منها وغير اللغوية من أجل الوصول إلى غاية معينة تكون قد خطط لها سلفا لا يتأتى ذلك إلا بالاستعانة بكل الوسائل التي يمتلكها الفرد من قدرات لغوية ومهارات خطابية وحجج وآراء وصوت لغض الإقناع أو التأثير في الآخر.

أما إذا ربطنا مصطلح "الاستراتيجية" بمصطلح "الخطاب" فإننا عندئذ سنحدد مجال هذه الاستراتيجية، إذ تصبح الأدوات والوسائل المختارة مرتبطة بالعملية التواصلية، ويصبح المرسل الاستراتيجي ساعيا إلى هدف إبلاغي تواصل، مستعينا بكل ما من شأنه أن يعينه في إبلاغ رسالته إلى المتلقي.

2.3. مفهوم استراتيجية الخطاب: كل مرسل لخطاب يسعى -بقدر ما يستطيع-

لإيصال خطابه إلى المتلقي كما يريد هو، ويستخدم في ذلك من الأدوات اللغوية وغير اللغوية (السياقية) الكثير، وهذا الاختيار والاستخدام هما عين الاستراتيجية، وباعتبار أن اختيار السياق المناسب لخطاب ما واستخدامه هو جزء مهم من العمل الاستراتيجي فإن هذا السياق «قد يتنوع، كما قد تتباين آثار عناصره على تشكيل الخطاب باختلاف

السياق، وينعكس هذا التنوع وذلك التباين على تكوين الخطاب عندما ينتجه المرسل مما سيتسع تنوعا في أشكال الخطابات لغويا، ويغدو واضحا أن هذا التنوع نتيجة لعملية حدثت عبر مساق ممتد بين التنوع السياقي والتشكل اللغوي، وهذه العملية توسم بأنها استراتيجية الخطاب إذ يعتمد المرسل إلى أن ينتج خطابه وفقا لاستراتيجية معينة»³⁵.

والاستراتيجية "لها جانبان: جانب عقلي ذهني، يتعلق بالخطط الذهنية وهذا هو الأساس، وجانب مادي إجرائي متحقق يتعلق بتنفيذ بعض أجزاء تلك الخطط، أما بعضها الآخر وأخص التفاصيل الجزئية غير المهمة، فترتبط بالتكتيك، وهذان المعنيان متحققان في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة"³⁶. ويحدد ميشال فوكو الخصائص العامة للاستراتيجية بأنها عمل عقلي مبني على افتراضات مسبقة، وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها بالإضافة إلى ذلك كون الاستراتيجية ما هي في الأخير إلا محاولة للتكيف مع عناصر السياق المحيط بالفعل، وعليه ستكون فعلا ضروريا وشاملا لجميع ميادين الحياة"³⁷.

وعليه فالاستراتيجيات «طرق محددة لتناول مشكلة ما أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، والتحكم بها»³⁸. توصف الاستراتيجية في اللسانيات التداولية* وفي اللسانيات النصية خصوصا بأنها «محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار واتخاذ القرار-الجارية في العادة عن وعي- التي تُعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله، لتنفيذ أهداف اتصالية»³⁹. وهذا المفهوم للاستراتيجية يستخدم بشكل موسع مرادفا "لتخطيط المتكلم" أو "تخطيط القارئ" فكل محاولة للوصول إلى الأهداف بواسطة تصرف لغوي تعد من حيث المبدأ استراتيجية. والاستراتيجية تعني أن أي تصرف لغوي يكون موجها إلى شخص آخر يجب أن يُخطط له بشكل مسبق.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن المقصود بالاستراتيجية هو: «المخطط الذهني الرئيس، وما يتبعه من المنجز النصي الرئيس الذي يحقق الهدف. وتتمثل أهمية هذا التعريف بالنسبة إلى هذا البحث في أنه ينطلق إلى استراتيجية النص قبل أن يكون نصا، واستراتيجية النص عندما يكون نصا، وبذلك يشمل كل الدراسات التي عالجت مسألة الاستراتيجية النصية التي تنظر إلى النص من وجهات نظر متباينة، فهو يشمل استراتيجيات بناء النص كما يشمل استراتيجيات الخطاب حتى في حالة الكتابة وكذلك استراتيجيات تحليل الخطاب الذي يقصد به المفاهيم الدلالية الكلية التي تنبثق من النص بمختلف مستوياته»⁴⁰.

خاتمة: وعليه يمكن القول بتعدد الاستراتيجيات تبعا لتعدد الظروف المحيطة بالسياق، وأي تغيير في بعض العناصر يؤدي بالضرورة إلى تغيير في الاستراتيجية من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود، ولا يتأتى ذلك إلا بإعمال التفكير الذهني القائم على تحليل كل العناصر المحيطة من أجل اختيار الاستراتيجية الأنسب لذلك المقام أو لذلك السياق، ومن ثم ستكون الاستراتيجية فعلا ضروريا وشاملا لجميع مجالات الحياة على اختلافها.

الهوامش:

1. مجمع اللغة العربية، (1998م)، المعجم الوسيط، القاهرة-مصر، ط3، ص465.
2. الزمخشري، أساس البلاغة، ص314.
3. ابن قيم، الجوزية، (دس)، بدائع الفوائد، بيروت، ج4، ص ص9-10.
4. ينظر: حسان، تمام، (2000م)، الأصول، دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة، ص332.
5. فتحي، إبراهيم، (2000م)، معجم المصطلحات الأدبية، القاهرة، ط1، ص86.
6. بن عبد الكريم، جمان، إشكالات النص، ص400.

⁷. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (2002م)، معجم مصطلحات اللسانيات، الدار البيضاء-المغرب، ط2،

ص112.

⁸- Jean Dubois et autres , grand dictionnaire linguistique et sciences de langue, Larousse, paris, 2007, p 116.

⁹. ينظر: عزة، شبل مُجّد، (2009م)، علم لغة النص، القاهرة، ط2، ص11.

¹⁰. بن عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص، ص401.

¹¹. ينظر: حسان، تمام، (1998م)، اللغة العربية معناها ومبناها، دب، ط3، ص339.

¹². عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص، ص401.

¹³. مُجّد قدور، أحمد، (1999م)، مبادئ اللسانيات، دمشق، دط، ص295.

¹⁴. ينظر: المرجع نفسه، ص296.

¹⁵. ويسمى أيضا السياق المقامي أو الخارجي أو سياق الحال أو المجازيات (ما جرى ويجري).

¹⁶. السعران، محمود، (دس)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت-لبنان، دط، ص311.

¹⁷. الحمزاوي، مُجّد رشاد، (1987م)، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، تونس، ص ص83-84.

¹⁸. محمود السعران، مرجع سابق، ص311-312 بتصرف.

¹⁹. ينظر: بن عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص، ص ص402-403.

²⁰. ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص372.

²¹. ينظر: الرضي، الشريف، (دس)، نخج البلاغة، بيروت، ج1، ص113.

²². ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 500/2.

²³. ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص339.

²⁴. ينظر: أحمد مُجّد قدور، مبادئ اللسانيات، ص299.

²⁵. ينظر: عمر، أحمد مختار، (1998م)، علم الدلالة، القاهرة ط5، ص71.

²⁶. ينظر: أحمد مُجّد قدور، مبادئ اللسانيات، ص ص299-300.

²⁷. ينظر: المرجع نفسه، ص297.

²⁸. ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص70.

- 29- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 80-81.
30. ينظر: أحمد مُجَّد، قدور، المرجع السابق، ص 297.
31. ينظر: عون، نسيم، (2005م)، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، بيروت، ط1، ص 160.
32. ينظر: أحمد مُجَّد، قدور، مبادئ اللسانيات، ص 297.
33. الهيثم الأيوبي وآخرون، (1981م)، الموسوعة العسكرية، بيروت، ج1، ص 66.
34. دريفوس، أوبيير، ورايينوف، بول، (1988م)، ميشال فوكو مسيرة فلسفية، بيروت، دط، ص 200.
35. بن ظافر الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ص 52.
36. ينظر: بن عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص، ص ص 173-174.
37. بن ظافر الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ص 55.
38. المرجع نفسه، ص 53.
39. فولفانج، هاينهودتيرفهيغر، (1419هـ)، مدخل إلى علم اللغة النصي، الرياض -السعودية، ص 314.
40. بن عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص، ص 175.